

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

عن المدة ١٥ ملياً

الوجهات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للتفكير والعلم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المشرف

أحمد حسن الزيات

الدائرة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ - هادي - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

المسدد ٥٤٩ القاهرة في يوم الإثنين ١٤ المحرم سنة ١٣٦٣ - الموافق ١٠ يناير سنة ١٩٤٤ - السنة الثانية عشرة

خلاف يستحق الاختلاف

للأستاذ عباس محمود العقاد

ذلك هو الخلاف الذي أشار إليه الفاضلان : الأستاذ عبد المتعال الصميدى ، والأستاذ حسن الأمين حاكم التبعية في العدد الأخير من (الرسالة) : أولهما فيما يرجع إلى كتابي عن « الصديقة بنت الصديق » ، والثاني فيما يرجع إلى كتابي « هجرة الإمام »

فالعالم الفاضل الشيخ عبد المتعال الصميدى يقول : إنني حكمت العقل قبل النقل في مسائل التاريخ إلا في موضعين : أولهما ما ذكرته من قول عائشة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقد حل إليها ابنه إبراهيم لترى ما بينهما من عظيم الشبه ، فأنظمتها القيرة بما أشرت إليه ، ومقام السيدة عائشة ينبو عن تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم في شيء من الأشياء

وثانيهما ما ذكرته من قول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة في حديث الإفك : أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغتني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيروك الله ، وإن كنت قد أملت بذنب فاستغفري الله وتوبى ، فإن البعد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه . ومثل هذا - كما يرى الأستاذ الصميدى - لا يصح أن يقوله النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه كان يرض

الفهرس

- صفحة
- ٢١ خلاف يستحق الاختلاف .. : الأستاذ عباس محمود العقاد
- ٢٤ أغنية الرياح الأربع ... : الأستاذ درويش خنية ...
- ٢٦ كتب وشخصيات .. : الأستاذ سيد قطب ...
- ٢٩ الهوى تحت النجوم ... : الأستاذ صلاح الدين المنجد ...
- ٣٠ الطليعة تومي والشاعر ينطق : الأستاذ محمد عبد الفتى حسن
- ٣٢ شلى ... : الأستاذ عوى الدين السامرائى
- ٣٦ على ضفاف بلعم [قصيدة] : الأديب محمد العلاف ...
- ٣٧ بين الدين والعلم في ختان الأثني : الأستاذ عبد المتعال الصميدى
- ٣٧ ختان البنات بين الطب والدين : الدكتور حامد البدرى القواوى
- ٣٨ نبأ الأتزام في رسالة الأتزام : السيد محمود حتى ...
- ٣٩ الشيخ عباد الطنطاوى .. : الأستاذ محمد أبو حسونة ...
- ٣٩ حفلة تأبين الشيخ إبراهيم باكير { ... : الأديب عمر السعيد على ...
- ٣٩ الهوى المنوى ... : الأديب عمر السعيد على ...

لمن أقر بالزنا عنده أن يرجع عن إقراره فكيف يخالف ذلك مع عائشة ؟ ... إلى آخر ما ورد في كلمة الأستاذ ورأى كما قال الأستاذ أن العقل مقدم على النقل ، ولكن النقل لا يبطل إلا بالبرهان أو باستحالة القبول وليس فيها لاحظه الأستاذ الصعدي موضع لبرهان ، ولا لاستحالة عقلية تقوم مقام البرهان

فالصحيح أن السيدة عائشة لا تكذب النبي عليه السلام في شيء من الأشياء ، ولكن الذي حدث في أمر إبراهيم ليس فيه من تكذيب ينسب عنه مقام السيدة عائشة رأى النبي عليه السلام شهماً بينه وبين ولده إبراهيم وسأل السيدة عائشة في ذلك فقالت : إنها لا ترى شهماً فالتكذيب هنا إما يكون إذا قالت : « إنك يا رسول الله

لا ترى شهماً بينك وبين إبراهيم »

أما أن تقول عن نفسها إنها ترى الشبه - وهي لا تراه - فذلك هو الكذب الذي ينسب عنه مقامها

ومن السهل جداً أن تفتش القبرة عين المرأة المحبة فلا ترى في ابن ضرثا المحاسن التي تحب تلك الضرة إلى

رجلها العزيز عليها ، فإذا غاب هذا الشبه عن عين عائشة فلا غرابة في الأمر ولا مخالفة فيه للطبائع الإنسانية والطبائع النسوية على التخصيص ، وإذا قالت إنها لا ترى الشبه - وهي لم تره فعلاً - فقد صدقت في مقالها ونطق لسانها بما نادى إلى نظرها ولم ترد عليه

وقد ورد في الخبر أن السيدة عائشة كانت تناضب النبي وتقول له « اقصد » في مقالك أمام أبيها ، فيلطمها أبوها عقاباً لها . وليس كلام القضية أو "قيور بالكلام الذي يصدر عن تكذيب أو بغضاء ..

أما أن النبي عليه السلام لا يصح أن يقول للسيدة عائشة : إن كنت أملت بذنب فاستغفري الله وتوبى ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ، ثم تاب إلى الله تاب الله عليه »

فهذا ما يخالف الأستاذ فيه كل المخالفة

إذ هذا القول هو الذي يصح أن يقوله النبي عليه السلام في هذا المقام . وماذا فيه إلا أنه عليه السلام يدعو من ألم بذنب إلى الاستغفار ؟ وأي عجب في ذلك وقد صحت فيه آيات من القرآن فضلاً عن الأحاديث النبوية ؟

ويلاحظ أن النبي عليه السلام قال للسيدة عائشة : « إن كنت أملت ولم يقل لها إن كنت اقترفت ذنباً » ولا يخفى أن الإلام يناسب اللهم الذي هو دون كبار الإثم والفواحش ، وفيه يقول القرآن الكريم : « والله ما في السموات والأرض ليعجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ، الذين يجتنبون كبار الإثم والفواحش إلا اللهم إن ربك واسع المغفرة » وفي كلام النبي ، واقفة لهذه الآيات . وفي القرآن

الكريم أن نبياً هم بأمر وعدل عنه . والهم والإلام قريبان : « ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه »

فدعوة النبي للسيدة عائشة أن تستغفر عن لم ليست بالدعوة التي ينكرها العقل ويجزم باستحالتها ،

وليس فيها ما يناقض الآيات ولا الأحاديث . ومقطع القول بعد هذا كله في حديث الافك أنه كما قلنا في كتاب الصديقة بنت الصديق « سخف لا يقبله إلا من يفتري بوشاية أو بغير وشاية ، وسواء فيه مناقو المدينة ومن يصنع صنيعهم من المؤرخين في العصر الحاضر لأنهم لا يؤمنون بنبي الإسلام . بل هؤلاء أنذل وأغفل لأنهم يؤمنون بحريم المسيح وكان عليهم أن يصممهم عامم من هذا الإيمان »

أما الأستاذ حسن الأمين حاكم التبعية فقد عقب على قولنا في عبقرية الإمام أن أنصاره من الفرس والغارة والمصريين أكثر من أنصاره بين قريش خاصة وبين بني هاشم على الأخص وبين قبائل العرب نجماً على التعميم »

عدد الرسالة الممتاز

يصدر في الأسبوع المقبل عدد الرسالة الممتاز مائة كعادته بالمعجب المطرب من برائع الكتاب والشعراء . فامر من على طبع سائر بصر فانه العرو محروود

فإن كان الذي يعنونه بهذا القول أن موضوع الكتب ليس
بجديد ، وأنتا لم تخلق حوادث العصر النبوي ولا حوادث عصر
الخلفاء ، فنحن معهم فيما يقولون
ولكن على هذا الاعتبار لا يوجد في الدنيا ولن يوجد فيها
أبداً كتاب جديد أو رأى جديد أو علم جديد
فالكيمياء الحديثة ليست بالجديدة ، لأن الأجسام التي هي
موضوع الكيمياء اليوم وموضوعها بالأمس لم تخلق في هذا
العصر ، ولم تول على وصفها الذي رآه الأقدمون
والجغرافية الحديثة كذلك ليست بالجديدة ، لأن القارات
والبحار والأنهار والكواكب والرياح والأمطار ليست من صفة
الجغرافيين المتأخرين ، وليس أحد منهم بأقدر على خلقها من
الجغرافيين السابقين
وقل مثل ذلك في علم الفلك وعلم الطبيعة وعلم الطب وعلم
القانون وسائر العلوم والفنون
أما إن كان الذي يعنونه بقوله إننا كررنا في كتبنا ما تقدم
في كلام المؤرخين قبلنا فدون ذلك وتقصير الألسنة ، ودون ذلك
ويفتح الله ثم يفتح الله . . . إنهم يقولون إذا أراحهم القول ،
ولكن لن يريحهم يوماً أنهم مسموعون أو مصدقون !
عباس محمود العقاد

مصلحة المساحة المصرية

المجلة «أورمان»

تقبل عطاءات بمكتب حضرة
صاحب العزة مراقب عام مصلحة
المساحة المصرية بالجيزة «أورمان»
لقاية الساعة ١٢ من يوم ٥ فبراير
١٩٤٤ عن توريد بويات ومسامير
وكوالين ومفصلات وخلافه
نمن صورة العطاء عشرة قروش صاغ

١٧٢٤

فأحصى في تعقيبه أسماء القبائل العربية التي كان منها أناس
في جيش الإمام ، ثم قال : « بقي أن يكون ما عناه المؤلف اتباع
الإمام بعد وفاته وانقضاء زمانه ، والإمام وغيره سواء في هذا
الشأن ، فإذا كان في اتباعه الفرس وغير الفرس ففي اتباع غيره
الترك وغير الترك مثلاً ، وإذا شايعه غير العرب فقد شايسته
كثرة من لباب العرب »
والقول الأخير هو الذي تخالف فيه الأستاذ الفاضل ،
مع شكرنا إياه على جميل تحيته وكريم ثنائه
فالمقصود بالانصار هم شيعة الإمام الذين يشايعونه خاصة
ولا يشايعون غيره
إذ العرب الترك والأمم الأخرى التي شايحت كل خليفة
في زمانه ليسوا بأشباع ذلك الخليفة على التخصيص ، ولكنهم
أشباع الدولة ومن يقوم عليها من الخلفاء واحداً بعد واحد ،
وليسوا مع ذلك بأعداء لعل كمدادوة بعض الشيعة لن ينارعههم
الرأى في حق الإمام وتقديمه على جميع الحقوق
ومتى كان هذا هو شرط الانصار الذين يختص بهم الإمام
ولا يختص بهم غيره فلا جدال في كثرتهم بين التبر والشعوب
الأخرى ، ورجحانهم على شيعة الإمام من العرب ولا سيما
أقرب الناس إليه من بني هاشم ومن قريش
وهذا موضع العبرة في تلك الملاحظة :

موضعها أن الإمام قد ظهر بهؤلاء الانصار ممن لا يشايعونه
عصبية ، لأنه قام بالامر على الخلافة الدينية ، ولم يقم به على
المصبة الجنسية أو النزعة الوطنية
وهذه هي الخصلة التي ينفرد بها الإمام بين الخلفاء من قديم
وحديث ، فليس في الأئمة جميعاً من كان الانصار له مذهباً في
الدين ، وكان الدائنون بهذا المذهب أرجح عدداً من الدائنين به
في الشعوب العربية على اختلاف الأقطار ، فيما خلا الإمام
وليس بين الأئمة جميعاً من له نصراء في الشعوب الأخرى
يساوون نصراء على بين المسلمين من غير العرب ، سواء في الزمن
القديم أو الزمن الحديث
وهذا الذي عنيناه ، وهو جدير بالتقرير والتعليل

وربما استبح الكلام في هذه الكتب أن نشير إلى الذين
ذكروها فقالوا عنها إنها لم تأت في التاريخ الإسلامي بجديد

٢ - أغنية الرياح الأربع

لشاعر الحب والجمال على محمود ط

للاستاذ دريني خشبة

تطلق الزوجة الحسناء داخل الحانة برمة ، ثم يقبل
البحارة ، فيأخذون في هرج ومرج ، تزيدها النشوة فجة
واسطخاباً ، فإذا سألوا من صاحب الحانة وقدم لهم أرسطفان
نفسه ، عبثوا به وشحكوا منه :

أنظر إلى وجهك في المرأة وصف لنا عجيب الحياة
من أي غاب يا وحيد القرن وما اسمك الصحيح ؟ لا تكفى
فيقول لهم : أرسطفان ... فيقول أحدهم

... علم منلوط صحتك وشكله المضبوط
تنبئ عنه هذه الخيوط أرسطفان أنت أخطبوط !!

وهكذا يستغرق الجميع في ضحك متصل ، تزيد القيان
الحسان اللاتي يحبن البحارة بهجة وإيناساً ومرحاً . ثم تأخذ
إحداهن في رقصة بارعة يدخل بعدها بطل البرامة الرهيب
« أزمردا » فيأخذ مكانه في ناحية ، ويسود الحانة جو من الوجوم
لا يفقهون منه إلا على إنشاد باتوزيس الذي بتغنى لهم قصة تلك
الأسورية التي تشبهها فتى ملاح ، ووقع هو الآخر من نفسها
فدعته إلى سفينتها وانطلقا يذرعان البحار عامين سعيدين حتى
فرقت بينهما يد الأقدار حين نزل الفتى إلى الشاطئ للعيد فأتى
قرصان فصاد حبيبته وذهب بها إلى حيث لا يدري العاشق
المسكين ... وروى أن هذه الحسناء قد تزوجت من بعض الآلهة
فأنجبت منه (ربّات الرياح الأربع)

فإن سمعتم في صدى الأمواج أو لحن شاديكم

أغنية تهفو على الأنباح حيرى تناديكم

فهي لها ، وهي تناديكم

فإذا سأله البحارة عن هذا القرصان الفاجر أين مقرو ، قال
باتوزيس إنه يجلس بينهم كواحد منهم .. معزناً بأزمردا ...

أزمردا القرصان الهائل الذي دوّخ أطراف البحر ، وزلزلت
سطواته جزائر إيجة وشطآن مصر ، وأحرز من خطف الحسان
ثروة طائلة وبأساً شديداً ... فيظن البحارة أن باتوزيس يزح ،
ثم ينصرفون من الحانة إلى ملذاتهم ومعهم حظاياهم بعد أن يتقدموا
الخمار ثمن شرابهم ... ويقبل أرسطفان على الشاعر المصري
مسروراً باشاً لأنه كان روح هذه الليلة بشعره وغنائه وموسيقاه ،
ويقدم إليه كأساً راوية قياصر له (أزمردا) بأخرى ، ثم يأخذان
في حديث طويل نعرف منه أنهما كانا صديقين منذ زمن طويل
يعملان في البحر ثم افترقا ، وأن أزمردا يعمل الآن في القرصنة
والأبحار في سوق الرقيق الأبيض ، ثم يعاتبه لتعريضه به بين
أولئك السكارى ، وما غمز به في قصته التي رواها لهم ...
ويحدثه باتوزيس حديث (ربّات الرياح الأربع) الذي سمعه
في آخر زيارة له في طيبة المصرية :

فتيات أربع يظهرون في كل عام صورا مختلفات

رائعات يتخطرن على هذه الأمواج مثل النديمات

فوق شط رمله من ذهب لؤلؤى الماء درى الحصاة

من يحزنهن يحزن ملك النرى ومقاليد البحار الطاغيات

فإذا جادله أزمردا في أمرهن أكد له باتوزيس حقيقتهم ،

فيرض عليه أزمردا أن يعيش معه في سفينته

نعال في سفينتي وكن أختي وساعدي

وذاق مباحج الحياة عذبة للوارد

ثم تسمع فجة عند باب الحانة ، وتدخل جماعة من الشذاذ

وعلى رأسهم زعيمهم أزيرو ومعه حظيتان من حظاياهم لا تلبثان

أن تخرجهما حيا الخمر عن رشدهما ، فتشاجر إحداها الأخرى

فيصنع أزيرو إحداها ويطرحها أرضاً فيقتصر لها أزمردا

ويرفعها بيديه إلى كرسيها فتثور نائرة أزيرو ويمتشق حسامه

ليتمده في صدر أزمردا ... فيتنفض أزمردا كالأسد ، ويكشف

عن نفسه ويضرب بسيفه سيف أزيرو فيكسره ... ويذهل

الجميع حين يرفون أنهم في حفرة القرصان الأكبر ، وترقع

صبيحة من جوانب الحانة يرددها الجميع مشدوهين :

أز ... مر ... دا

وينزل ستار الفصل الأول !

ويتألف الفصل الثاني من منظرين ... من أدورع ماوصل إليه خيال شاعر - لا في مصر وحدها ، بل في الدنيا قاطبة ! وهكذا أقولها غير عابئ بجميع الانسمات التي أراها الآن ترقص على شفاة الكثيرين من قرأني ، وعلى أرباب أنوفهم ! ومن الخطر الأدبي تلخيص هذا الفصل ... فهو وحشة فنية كاملة يجب ألا تشوه بالتلخيص . وحسبك أن تعلم أن سفينة أزمردا ترسى في ميناء رفح المصرية قبيل الشروق ، وأن أزمردا ينزل إلى الشاطئ وحده فيلقى ربات الرياح الأربع يتواهبن راقصات على الرمال الناعمة ، فيخبرهن بزيارة سفينته ويخبرهن الأمانى ، فإذا طلبن إليه برهانه أبرز لإحدهن وهي حروازا ، ربة ربح الشرق ، يا قوة حمراء تبهر الدين وتذهب بالبالب ... ثم ينتصر بيان أزمردا ، فيرضين بزيارة سفينته آخر الأمر ...

ورؤى في الفصل الثالث جانباً من سفينة أزمردا ، فهنا مخدع الشاعر باتوزيس ، حيث يوقظه العبد ماتوكا ويقدم إليه طعام الإفطار ، ويأخذ منه الشاعر في حديث عن حظوظ بني الإنسان ، تدرك منه أن ماتوكا لا يبنى بحياة الرق بدلاً

سفيتي هي الحياة والنشد المؤمل

قد طاب لي في ظلها العيش وطاب للنزل

ومن كساء سيدى الربان هذا الحمل

ومن شرابه أعل هائلاً وأعل

أى حياة لي من هذى الحياة أجل ؟

وينصرف العبد ، ويدخل أزمردا إلى بهو مجاور وفي صحبته ربات الرياح الأربع فما يلبث أن يوجس خيفة ويستترن فتطمئنهم حروازا وتذكرهن أنهن آلهة ... وبمضى أزمردا ليخبر باتوزيس الذي لا يصدق إلا بعد لآى ... فإذا سأله عم يصنع بهن وهن آلهة ، قال :

أسخرهم قوى ينتظمن شراعى ما قادنى سطع وأغزو بهن منيع الثغور وأجسى التراء وأستمع فيسأله باتوزيس : أتطمع في ملكوت السماء ؟ فيقول أزمردا ... أو يقول على محمود طه ... بيته الخالد الذى هو آمن

من ديوان :

خلقنا غراز منهومة فليست تروى ولا تشبع !
وبوشك باتوزيس أن يحن جنونه لهذا القرصان الجرى .
الناصر الذى لا يبال أن يخطف حتى الآلهة . فيثور على أزمردا ويثور أزمردا به ، فينتطلق باتوزيس ، ويسمع أزمردا أصوات ربات الرياح الأربع فيقصد إليهن ليسرى عنهن ، ثم يدخل ماتوكا العبد ليدعو سيده لتسكين نائرة إحدى المخطوقات فيذهب معه ، ويرز باتوزيس ، فإذا سألته من هو قال :

لا وقت للسؤال من أنت هنا ومن أنا

أنن في سفينة القرصان ، لا وقت لنا

ويخبرهن خبر أزمردا فيطمئننه ، ويدخل أزمردا متقلداً سيفه فيرى باتوزيس يدرك أنه قد فضح مره فيهم بقتله لولا أن تحول الربات بينهما ويأخذن في السخرة بأزمردا ، نيهن بقتل باتوزيس ثانية فتند حروازا ذراعها السخرة فيجعد الدم في عروق أزمردا ويسقط السيف من يده ، ثم رجف يده رجفاً شديداً وتفرور عيناه بالدموع التى تخفق عبراتها صوته وبطلب الصفح على أن يكون خير عباد الله براً وصالحاً واستقامة . ثم ترق الربات له ويسمن منجبة ، وإذا الجسداء التى كانت تلوذ بالداخل مقبلة ، فتلتفت إليها حروازا ويبطل سحر ذراعها فتدب الحياة في أزمردا الذى يتناول سيفه مرة ثانية ويهم بالقدرة مهدداً الربات وكل الحاضرين بالقتل ، فتند حروازا ذراعها ثانية فيجعد الدم في عروق حروازا من جديد ، ويسقط السيف من يده ، ثم ترفع الربات أيديهن ويففخن ... فإذا ربح مرصر عاقبة تحمل أزمردا فتقذف به في أعماق الميم وبعد ... فهذا سحر وشمر وجمال وفن !

(ينتج)

دعنى ضحية

حكم في اللجنة العسكرية رقم ٥٠١ سنة ١٩٤٣ مركز ضد زينب على سلام بالجيس ثلاثة شهور وغرامة ١٠٠ جنيه مع إيقاف التنفيذ لامتاعها عن بيع الشاي بالتسوية .

كتب وشخصيات

زهرة العمر... لتوفيق الحكيم

للأستاذ سيد قطب

مدرسة توفيق الحكيم الفنية

رددت قبل أن أكتب «مدرسة توفيق الحكيم» فالواقع أن كلمة «مدرسة» تعني في نفسى شيئاً كثيراً؛ وإبست هي مجرد الأسلوب الفني وطريقة التعبير؛ إنما هي هذا وشئ آخر، هي طريقة الإحساس والتفكير؛ بل هي طريقة حياة حين تؤخذ بمعناها الواسع الأصيل.

وليس من الضروري أن يكون هناك أتباع وتلاميذ، كي يتحقق معنى «المدرسة»؛ فتلك مسألة تأتي مع الزمن؛ إنما المهم أن توجد العالم الواضحة المستقلة التي يلتقي عليها التلاميذ والأتباع حين يوجدون في زمن قريب أو بعيد.

هذه العالم هي سمات إنسانية وفكرية ونفسية تجتمع أصولها لتلاميذ المدرسة الواحدة ثم تفرق ألوانها وأنماطها حسب الأمراض الخاصة والملكات الفردية. وتبعبها طريقة التعبير، أي الأسلوب الفني الجامع لتلك السمات.

فهل نستطيع بعد هذا البيان أن نقول: إن لتوفيق الحكيم مدرسة؟

نعم نستطيع! ولكننا نحتاج بعدها إلى التحفظات المحددة لحقيقة ما نعنيه. فتوفيق صاحب أسلوب فني واضح السمات — هذا ما لا جدال فيه — وهو كذلك صاحب طريقة في الإحساس والتفكير، ولكن هذه الطريقة ترجع إلى مزاجه الشخصي وتكوينه النفسي، أكثر مما ترجع الطبيعة العامة وهذا كلام يحتاج إلى التوضيح!

يجنح توفيق الحكيم إلى أن يعيش في داخل نفسه أكثر مما يعيش في خارجها، فلا تهمه الحياة المتعلقة في الخارج كآهمه الحياة التي بصورها خياله كما يريد، وهنا تولد وتميش تلك

المخاوف الفنية التي يرسمها على هواء من أمثال شهرزاد وشهریار وبيجاليون وعنان ومختار... الخ.

فما منشأ هذا؟ منشؤه هو إشفاق توفيق من الحياة، وضيق الحيوية في كيانه الجسدى. وقد يكون هذا الضيق علة ذلك الإشفاق، ولكن مما لا شك فيه أن هناك أسباباً أخرى في نشأته الأولى، يمكن أن يقف عليها من يقرأ كتابه «عودة الروح»، وإلا فالضيق الجسدى كثيراً ما يكون سبب دفعة حيوية في الفكر، كما في «نيتشة» مثلاً.

وليس بنا في هذا المقال القصير أن نقوم بدراسة جسدية ونفسية؛ ولكن حسبنا أن نشير إلى هذه الأسباب لتوضيح ما قلناه من أن طريقة توفيق في الإحساس والتفكير مردها إلى مزاجه الشخصي وتكوينه النفسي.

فالذين يشبهون هذا الفنان في مزاجه وتكوينه هم الذين سيكونون أتباعه وتلاميذه في هذه الحياة الفكرية الباطنة التي ترسم الشخص رسماً فنياً خاصاً. ولا بد لكل فنان من قسط من هذه الحياة الباطنة ينقص أو يزيد. ولكن يبقى أن يوهب هؤلاء التلاميذ — كما وهب — أسلوباً قوياً فنياً في التعبير، وأداة فنية ناضجة في الحوار، ليكونوا تلاميذ حقيقيين. وهو ما لم يوجد بعد، على الرغم من المقلدين الكثيرين في مصر وفي بلاد الشرق العربي الذين حسبوا الحوار هو كل موهبة توفيق الحكيم، وحسبوا استيعاء الأساطير هو كل ما يعززه بين الفنانين!

نعم إن الطاقة محدودة، وقد يأتي — في هذا المجال — من هو أكبر طاقة وأبعد غوراً من توفيق الحكيم؛ ولكن سيبقى له فضل سبق، وابتداع الطريقة وإكمال الأداة.

في هذه الحدود نستطيع أن نقول: إن لتوفيق الحكيم مدرسة؛ ولكننا نمود فرد إليه حقه كاملاً حين نثبت له النضوج الكامل في أسلوبه الفني عامة والقوة البارعة في حوارهِ على وجه الخصوص. هنا موهبة متفردة لا شك فيها، مهما قيل في الطاقة التي يعمل بها وفي الموضوعات والفكر التي يتناولها.

وبعد فـا السنوان الذى يمكن أن نضمه لتلك المدرسة أو لهذه الطريقة ؟

هو عنوان « التنسيق الفنى »

يقول توفيق الحكيم فى إحدى رسائله إلى « أندريه » فى كتابه « زهرة العمر »

« إن فن الإغريق هو تجميل الطبيعة إل حد إشعارها بنقصها ... لكأنهم يريدون أن يقولوا للطبيعة : أنظرى ... كان ينبغي أن تصنى هكذا ! ... »

ثم يقول : « إن فن مصر القديمة هو تحد صارخ للطبيعة ؛ فكأنهم يقولون للطبيعة انظرى.. لاشأن لنا بك ولا بمخلوقاتك، إنا نستطيع من غيلتنا ومن تفكيرنا أن نخرج مخلوقات أخرى غريبة هيبة لم نخطر لك على بال ... »

وتجمل إلى أن فن توفيق الحكيم هو تنسيق للطبيعة وتهذيب ، بالنقص هنا وبالإضافة هناك ، حتى يستوى له خلق فيه من الطبيعة مشابه ولكنه منسق على نحو خاص يرضى مزاجه الفنى الذى يجد مجاله فى مخلوقات الفن المنسقة على طراز مطلوب ... وكأنه يقول للطبيعة : إنك فى منتصف الطريق ، ولا تزالين تخطئين بين الجمال والقبح وبين الرذيلة والفضيلة وبين الفكر والفرقة ... إلى آخر هذه الأمشاج ؛ فدونك مخلوقات أخرى مصفاة على نحو خاص ، ذات اتجاه موحد لا اضطراب فيه ولا اختلاط ... ! »

وهذه المخلوقات التوفيقية يتفق بعضها الجمال الفنى فينبغيها عن جمال الحيوة ويضعها أئداداً مقابلة لمخلوقات الطبيعة ؛ ويخطئ بعضها التوفيق فتبدو باردة هامة ، ولكنها لا تهبط إلى الموت أو الابتذال

وهنا نجدنا ملزمين بأن نود لتوفيق حقه مرة أخرى فننص على أن هذا الاتجاه لا يستغرق جميع أعماله ؛ فهناك أعمال تنبض بالحياة الطبيعية والحركة الحيوية — على نحو من الأنحاء — كيوميات نائب فى الأرباب ، ودساسة فى القلب ، وعودة الروح، والزماو، والموالم ، وراقصة المبد، وعصفور من الشرق ؛ وهى تؤلف جانباً كبيراً من أعماله الفنية للطبوعة يطابعه الخاص

وفى بعض هذه الأعمال تنهياً للحبكة الفنية والحركة الحيوية ، إلى جانب الدعاية الفكهة والسخرية العميقة . وبخاصة « يوميات نائب فى الأرباب والرمار » وفيهما معالم واضحة للفن القوى المتشود ؛ ثم نعود إلى اصطلاح « التنسيق الفنى » الذى جعلناه عنواناً لمدرسة توفيق الحكيم فنقول : إننا نعنى به معنى آخر بجانب « تنسيق الشخصيات » نعنى به معنى فى طريقة العرض ، فى الأسلوب الذى تعرض به الشخصيات والحوادث والأفكار ، فهذه الطريقة موحدة سواء كان المروض قصة أو تمثيلية أو فكرة فى مقالة . ولستنا نعنى به ما يعبرون عنه بالحبكة ، فهو أوسع من ذلك مدى . إنه « التصميم الهندسى » للعمل الفنى كله ، بحيث يبدو متساقاً منسقاً مطرداً ، وبحيث تنهياً هذا العمل الفنى كله فى ذهن الفنان قبل أن يبدأ اللسة الأولى ، كما يضع المهندس تصميم مشروع كامل من المشروعات ، ثم يتفذه بعد ذلك حسب التصميم . وما قرأت عملاً من أعمال توفيق إلا كان هذا « التصميم الهندسى » واضحاً فيه ككل الموضوعات ولعل أوضح ما يوضح ذلك هو « زهرة العمر » . فهذا كتاب مكون من مجموعة رسائل إلى صديقه أندريه ؛ وليس مطلوباً فى « رسائل » متفرقة أن تؤلف موضوعاً متناسقاً . فإذا هى كانت كذلك ، كان هذا دليلاً على أصالة ملكة « التنسيق الفنى » ، وظهورها حيث لا يرتقب منها الظهور

ونقرأ هذه الرسائل فى تناوب فتلاحظ عملية التنسيق الداخلى ، ونحس شيئاً فشيئاً أنك أمام قصة : قصة مخلوق حقيقى أودوائى ، يسير فى الحياة وكأن بدأ خفية تسوقه إلى مصير مرسوم ، وكما أراد لنفسه أو أراد له أهله أو أرادت له ظروفه أن يحيد عن هذا المصير رده هذه اليد الخفية إلى طريقه المرسوم !

شاب يريد له أهله الوظيفة بعد اللبئانس فلا يوفقون ، ويمشون به إلى أوربا للحصول على الدكتوراه ، فيجاهد فى سبيلها بما يستطيع — بعد أنه يفرق فى الدراسات الفنية إلى أذنيه — ولكن نخونه ذاكرة فى الامتحان ، وتقضى له الحياة متع المرأة الحية جميعاً — مع ساشا الجليحة وسواها — فيمل هذا اللعاب ويتعلق بالمرأة الأخرى التى طردته من جنبها بعد أسبوعين

فقد تخالفه في الرأي والإحساس ، ولكنك تجد الثمة في الأثر
الناشئ عنهما في الفنون

نم نخلص إلى الحديث الخاص عن « زهرة العمر » فاقيمة
هذا العمل الأخير ؟ إن هذا الكتاب يستمد قيمته التي ترفعه
إلى مستوى أحسن أعمال توفيق الحكيم من ثلاثة أصول
من اللغة الإنسانية الأليغة التي صيغت بها معظم الرسائل
من الألم والشك والجهاد والقلق والاضطراب والتذبذب المستمر
بين الحالات النفسية المختلفة ... هذه اللغة التي تقعد أوامر
الصدقة بين المؤلف وبين القارئ ، وتشرهما مما أن بينهما صلة
إنسانية ، وأن الإنسان ضعيف أمام القوى الخفية التي تسيطر
على أقدار الناس وخطواتهم في هذا الكون الكبير !

ومن « التنسيق الفني » الذي يجعل من هذه الرسائل
الواقعية وحدة مطردة في سياق روائي ، والواقع حين يكتب
التنسيق الروائي تجتمع له بساطة الصدق وجمال الفن ، وهذا
واضح في « زهرة العمر » لمن يقرؤه متنبهاً إلى التنسيق الفني
الخلق الملاحظ !

ومن البيان الحلي لمرحلة التكوين الفني الصحيح ، حتى
ليصح أن يطلق على الكتاب « سفر التكوين » . فالطريق
إلى التضجج الفني طويل ، ووعر ، ومليء بالأشواك ، والفن
عسير ، والذي يثبت إلى النهاية هو الذي يحق له أن يتطلع
إلى النجاح بعد الجهد الجهد ... هذه خلاصة ما يشير إليه
المؤلف في « زهرة العمر » وبدلاً من أن يلقيه نصائح وعظات ،
عرضه مصوراً في حياة إنسانية ، فكان أقرب إلى النفوس

وإذا اجتمعت هذه المزايا الثلاث لعمل أدبي كانت حسيبه
ليعد عملاً فنياً ذا قيمة . ولكنها لا تجتمع وحدها في هذا الكتاب ،
فهناك الومضات الفكرية والإشعاعات الشعرية التي لا بد منها
لكل عمل حتى تسلكه في عالم الفنون

وعيب هذه المقالات المحدودة المجال أنها لا تنسج للنموذج
والمثال ، فليعد القارئ إلى أعمال توفيق الحكيم ويبدد هذا
الفتاح الذي قصرنا عليه المقال !

سيد قطب

(حلوان)

وتركته يتعذب ويتلفى (لأن تعلقه بها جزء في الطريق الرسوم
طريق الفن الملون) ويعود فيوظف وينجح في وظيفته ويأخذ
أهله أو يأخذ المجتمع في تكييله بقيد النجاح العملي ثم يقيد
الزواج ... وهنا يستجمع المؤلف كل قوة الروائية في الشهد
الأخير وهو يستمد للروية النهائية وللخلاص من جميع القيود ؛
فيجمع هذه القيود في مشهد واحد في الرسالة الأخيرة ، قيد
الوظيفة على أفعه ، وقيد الزوجية في إياه ، وقيد المجتمع في احتقار
الفنون ؛ وفي اللحظة نفسها يبدو كأنه فضج للفن واهتدى إلى
سره وأمسك بالأسلوب الذي طال بحثه عنه ... ثم يسدل
الستار بين الهتاف والتصفيق ! وبطل القصة أشبه بأبطال
الروايات ، بل هو أشبه ما يكون « ببجاليون » !

هذا تنسيق يدل على أصالة في فن التنسيق ، وهو ظاهرة
ملحوظة في « زهرة العمر » كل الظهور . وهي كذلك ملحوظة
في « يوميات نائب في الأرياف » يمثل هذا الوضع . وقد اخترت
هذين الممثلين لأنهما ليسا قصة وليسا تمثيلية . فإذا توافر لهما
هذا التناسق الكامل ، فما أولى القصص والتمثيلات بأن يتوافرا لهما
من أسير سبيل . وفي « زهرة العمر » رسائل تحوى كل منهما
قصة صغيرة كاملة مثل « قصته مع ساشا » يبدو فيها التناسق
في أعلى مستواه

ومعنى نالك نمنيه « بالتنسيق الفني » هو إحاطة الحوادث
والملاحظات إلى مواد فنية خامة في « الاستوديو » الدائب
العمل ! فالناس يعيشون الحياة وتوفيق الحكيم يشفق أن يعيشها
ويتزوى عنها مرثداً إلى نفسه ليحولها إلى عمل فني هناك ،
وكما لحظت عينه أو نفسه مشهداً من مشاهد ما لم يكن هم
أن يستمتع بهذا المشهد وأن يزاوله ويضطرب فيه ، ولكن
كان هم التقاطه لأنه مادة صالحة « للاستوديو » اللعين ! ومراد
ذلك إلى مزاجه وتكوينه كما سلف . وكثيراً ما يكون انحراف
المزاج مزية للفنان الذي يعرف كيف يحيل كل ما بصادفه إلى
مادة فنية . وتوفيق من هذا القبيل . وقصة « ساشا » في
« زهرة العمر » من الأمثلة على ما نقول . وغلطة هذا المزاج
هي اعتبار الفن مقابلاً للحياة لا متفاعلاً مع الحياة ؛ ولكن
ليس من الضروري أن توافق توفيق في مزاجه لتستسيغ منه

الهوى تحت النجوم للأستاذ صلاح الدين المنجد

(نشوى) يا حبيبى الجميلة !

يا فراشة مزركشة قرئت من الفردوس
يا قطرة ندى تخرج حلة فوق ورق الورد
أنظري ! فالنجوم الزهر يسبحن فى البحر ، كالخسان
بتمازن ويتضاجكن ، ويتراشقن بالنور والسناء
وعبدنا الزمى يخلس إليهن النظرات
ووادبنا يضحك بالأنس ، ويندى من العطر ، ويشرق
بالضياء !

والنسيات وشيقات يرفرفن كالصافير ، ويقبلن الأزاهير !
فاقترى ، نلذ الهناء والنعيم
لملك رأيين الصدع ، وتواسين الجرح ، وتخفنين الموم
اقتربى ، فالهوى حلو الجنى ، تحت النجوم !
نشوى يا عبقة الروض الجنى ، وحلم العمر السعيد

شفتاك ذابلتان ، ونداهما فى شفتي
عيناك قاترتان ، والهوى فى غملى
أرأيت عصفور الحقل ، يندو مع الفجر الضحوك ، ليسرق
القوت المحلى

إن شئت كنت اليوم عصفور الحقل
وقطعت من فك الشهي زهر الثور
لحابة كالنار ، تحي الهوى ، تنسى الموم .

اسمى همسات الرمان اسمى
فعالى نجعل هوادما كزهراته ، أخضر رفاقا كورقانه ،
متصلا كالليالى والأيام ، فانمأ كترانيم الحمام ، صافيا
كدموع الغمام

اقتربى ، فمبدنا الزمى يحرس الوادى ، ويرمى الجبال
والهوى حلو الجنى ، فى ليلك المطرى يا ذات الدلال

نشوى ! يا حلما زرقته بالفتون
ودنية منتسها من الوم والظنون
لم يشجب الوجه البهى ، ويرعش الثرى البهى ،
إذا رأيتى ؟

مالك مرعوبة يا نشوى !

أهذا حفيف الصنوبر الحزين ، فى الغاب ، أم آهات صدرك ؟
ونلك ومضات البرق الجريح ، فوقنا ، أم خفقات قلبك ؟
لقد تمنينا المي حتى مللناها
فتعالى نسحقها بالوسال ، ونقتل الخوف باللقاء ، فنصبح
أقويا ، كالظفر ، بسامين كالنور ، تياهين كالأبطال

اقتربى
فياهناء من ارتوى من جبه تحت النجوم !

اذكرى ليلة السكرم يا نشوى

ليلة كنا نمد النجوم

وكما قلت هذى نجمة

قلت هذى قبلة

وضممتك إلى صدرى ، ورويتك من حبي

لقد كنت ترعشين بين ذواعى وتيسمين ، وتلهين من
قبلى وتحمليين

وكان قلبى يمرى قارة ويرجف ساعة

فهمست فى أذنك الرقيقة : « سيبقى حبنا متوقدا كهنه

النجوم يا نشوى ، فإذا غيبنى ترى يوما ، فاذا كبرى حبي

إذا زرت الكروم ، واذا كرى قبلى إذا بنوت إلى النجوم »

فرقرقت فى عينيك الدموع ، وقلت : « سأذكر حبك ،

وقبلك ، كلما نظرت إلى النجوم أو وطنت الكروم »

فمالك الليلة صامئة يا نشوى !

لا ترعى ، فالهوى حلو الجنى ، تحت النجوم !

أين قلبك الشارد يا نشوى !

أبضل ، وهنا يرف النور ؟

اقتربى ، ويحك اقتربى

عمرنا شملة ، النجر يطفئها

وهوانا ومضة ، القبر يرعشها

فلم تبكين وبم تحلين ؟

اقتربى نلذ لذة عاصفة ، فتطيش بها كالفراش بين الزهور ،

ثم نلفظ الروح ، وترعى كالصدقات الفارغة ، على حفافى النهود

يا هناء من ارتوى من جبه تحت النجوم !

(القاهرة) صبح السيرة المحمد

دراسة ومقارنة

الطبيعة توحى
والشاعر ينطق

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

الطبيعة مصدر إلهام عظيم في الأدب ، وللشعر فيها مجال
واسع . أفن بها الشعراء ، وتردد إليها الملهمون من أهل الفنون ،
فوجدوا بين أحضانها منفصلاً من القول ومتسعاً من الكلام .
ووجدوا في مختلف مظاهرها صوراً تستحق التسجيل ؛ فانتفضوا
أقلامهم ، وجرّدوا ريشتهم ، يجمعون الألوان من هناك وهناك .
ويؤلفون بين الظلال ، ويوئعون بين الأصواء ، ويخرجون من
ذلك لوحات شعرية تمتاز من لوحات المصريين .

ولا شك أن اللوحة التي يخرجها الشاعر الموهوب يكون فيها
من صدق الأداء وبراعة الوصف وإظهار الدقائق والتفاصيل
وحرارة الأحساس ما لا يكون في لوحة يخرجها رسام أو مصور .
ولقد أروع الشعراء من قديم الطبيعة ؛ فأووا إليها وصوروا
في شعرهم تارة باسمة ، وأخرى عابسة ساخطة . ووصفوها على
اختلاف الحالين كما فعل هوميروس في الإلياذة ، فلم يجعلها ملحمة
فقط للحروب والغارات ؛ ولكنها كانت معرضاً لألوان شتى من
الطبيعة .

ولم ينفل شعراء العرب في الجاهلية وصف الطبيعة ؛ ولكن
اللوحات التي خلفوها لنا ليست من التنوع والكثرة وخصب
الألوان وغناها بحيث تستحق أن نطيل الوقوف عندها والتحدث
عنها . ولكنها على كل حال لوحات صادقة التصوير لتلك البيئة .
ولو قد أطل الشاعر الجاهلي تأملاته إلى الطبيعة ، وأمن
التفكير في ظواهرها ، وعود نفسه السكون إليها والأنس بها
والتحديق فيها لأخرج لنا صوراً رائمة من تلك الغياض الممتدة ،
والرمال المتناثرة والصخور المارية ، كما فعل الشاعر « توماس
هاردي » في بعض قصصه وفي كثير من أشعاره . فقد صور
منطقة « المور » في جنوبي إنجلترا تصويراً صادقاً ؛ وهي إقليم

مملوء بالصخور الموحشة ، والأشواك الجافة ، والوحشة الرهيبة .
ولكن ريشة « هاردي » استطاعت أن تلبس وحشة هذا الإقليم
أنساً ، وأن تخرج من تلك الطبيعة الجافة الخشنة ألواناً تعجب
النفس . ولهذا تهافت السياح والزوار على مشاهدة هذا الإقليم
بعد ما قرءوا رواية هاردي التي عنوانها « عودة المواطن »

وقد ترتبط ذكريات خاصة ببعض الأمكنة أو ما دار فيها
من حوادث ، ويحن إلى الماضي الذي انطوى في غبار اليوم ،
كما فعل « امرؤ القيس » في يوم القدير بدارة جلجل . فقد أشار
إلى ذلك في بيت واحد من معلقته التي تبلغ الثمانين بيتاً .
والبيت هو :

أَلَا رَبُّ يَوْمَ لَكَ مِنْهُنَّ صَاحٍ وَلَا سِيَا يَوْمَ بَدَارَةَ جَلْجَلٍ
وَكَانَ حَقَّ إِسْرَى الْقَيْسِ أَنْ يَقِفَ طَوِيلًا عِنْدَ هَذَا الْقَدِيرِ ،
لَا أَنْ يَمُرَّ عَلَيْهِ مَرُورًا عَابِرًا سَرِيحًا ؛ وَلَكِنْ شَاعِرًا فَرَنْسِيًّا كَانَ لَهُ
مِثْلُ هَذَا الْمَوْقِفِ فَصَنَعَ قَصِيدَةَ عُنْوَانِهَا « الْبَحِيرَةُ » . وَالْبَحِيرَةُ
هِيَ بَحِيرَةُ لِيْمَانَ بِسُوسِرَا ، وَالشَّاعِرُ هُوَ « لَامَارْتِينَ »

والبحيرات والغدران والبرك كانت وحيًا وإلهامًا للشعراء
في كل أمة وجيل ؛ فامرؤ القيس يشير بإشارة صريحة إلى دارة
جلجل وغديرها ، والبحترى يصف بركة التوكل على الله المباسي
في قصيدة واحدة ، ويطول فيها نفسه ويجود فيها وصفه ،
فيقول :

تَنْسَبُ فِيهَا وَفُودُ الْمَاءِ مَعْجَلَةٌ كَأَنْخِيلٍ خَارِجَةٍ مِنْ حَبْلِ عَجْرَهَا
فَاجِبُ الشَّمْسِ أَحْيَانًا بِضَازِحَكُهَا وَرَيْقُ النِّيثِ أَحْيَانًا بِبَاكِهَا
إِذَا النِّجْمُ تَرَاءَتْ فِي جَوَانِبِهَا لَيْلًا جَسَبَتْ مِمَّا رَكِبَتْ فِيهَا

والسرى الرفاء الموصلى الذى خرج من الموصلى إلى حلب
واتصل بسيف الدولة بن حمدان له شعر جميل في وصف الغدير
والبرك والمياه . وقل أن نجد لشاعر عربي ما للسرى من الشعر
في البحيرات كثرة وإجادة .

ولمجد الله بن المعتز الشاعر الحسن التشبيه الكثير الوصف
شعر في البحيرات ، إلا أن الغنمة تغلب عليه وتمثل التشبيه
يلوح فيه . ولو أنه أطلق الوصف على سجيته ، وأرسله على
فطرته لكان شعراً تصويرياً للطبيعة التي أولع ابن المعتز بتصوير
كثير من مظاهرها . فإذا سمعته يقول :

الجميلة الهادئة من بفاح شمالي إنجلترا
ومنطقة البحيرات الإنجليزية مدينة في التمرير بجبالها
للكاتب النقاد « جون رسكين » الذي أدرك « وردسورث »
وعاش بعده زماناً ؛ فقد أبان للإنجليز جمال هذه المنطقة مما جعل
أغنياءهم يشدون إليها الرحال بدلاً من زيارة بحيرات سويسرة .
ولهذا أقام له الإنجليز في تلك المنطقة تمثالاً اعترافاً بفضل
ووفاء لحقه

أما وصف السماء والنجوم والسحاب والطر والرعد والبرق
والليل ، فقد ورد كثيراً في شعر العرب . وهو وصف مجرد
لا تحسه عاطفة ، ولا تدخله خواجج النفس ولا هزات الحس .
ولكنه على كل حال تصوير صادق ، كثير الإحاطة للتفاصيل .
ومن فرسان هذا الميدان ابن خفاجة الأندلسي والسري الرفاء
الموصلی وأبو تمام الذي أكثر من وصف الغيث والسحاب ،
وابن الرومي ، وابن المعتز الذي يقول في وصف سحابة
وموقرة بتقل السماء جاءت تهادي فوق أعناق الرياح
كانت يماها لما تجلت خلال نجومها عند الصباح
رياض بنفسج خضل نداء تفتح بينه نور الأنجم .
ولأبي تمام هذه الأبيات الرائعة في وصف الغيث :

لما بدت للأرض من قريب تشوقت لو بلها المسكوب
تشوق الريض للطبيب وطرب الحب للحبيب
وفرحة الأدب بالأديب وخيمت صادقة الشؤبوب
فقام فيها الرعد كالخطيب وحنن الريح حنين النوب
والشمس ذات حاجب عجوب قد غربت من غير ما غروب
والأرض من ردائها القشيب في زاهر من تنبها رطيب
ومن شعراء الإنجليز في هذا الباب « شيلي » وله قصيدة
عنوانها « إلى الليل » ، وهي من "نوع العاطفي" ، والشاعر
« جراي » وله « أغنية الربيع » ، والشاعر « كيتس » وله
« أغنية الخريف » ، والشاعر « كامبل » وله « أغنية الشتاء » .
وهو شعر يذكرنا بما قاله البحري في وصف الليل والربيع .

غدير ترجرج أمواجه هبوب الرياح وصم الصبا
إذا الشمس من فوقه أشرقت يومته جوشنا مذهبا
بذلك أثر الصنعة . وأن هذا من قول البحري في المعنى نفسه :
كأنما الفضة البيضاء سائلة من السبائك تجري في مجاريها
إذا علمتها الصبا أبدت لها حبيكا مثل الجواشن مصقولا حواشيها

ولقد أوحى بحيرات سويسرا الجميلة ، إلى كثيرين من
الشعراء أمثال « لامارتين الفرنسي » و « اللورد بيرون » ،
« وشيلي » الإنجليز . واللورد بيرون له في رحلته الأولى إلى
جنوبي أوروبا أشعار طبعها ما بين سنتي ١٨١٢ ، ١٨١٨ . وفيها
إشارات جميلة إلى ذكرياته السعيدة على بحيرات سويسرة
وفي هذه المناسبة أستطيع أن أذكر اسم الكاتب الأمريكي
« هنري دافيد ثورو » الذي تزح من المدينة المأخوذة سنة ١٨٤٥
إلى غدير (والدين) وخابته النجباء ؛ ووجد في زقزة الطيور ،
وطنين الحشرات ، وخرير المياه وخيف الشجر أنسا لنفسه
الطامشة إلى رحيق الطبيعة . وله في ذلك كتاب اسمه « والدين »
The Walden كتبه بالنثر إلا أنه يفيض بالشعور والأحاسيس
والثناء السكي في الطبيعة وتهديسها كما تقدم الآلة
ولا نجد شاعراً - فيما نعرف من الأدب العربي والإنجليزي
والفرنسي - أعلى من نفسه وشعره للبحيرات والنهر ومساقط
المياه ما أعطاه الشاعر الإنجليزي « وليام وردسورث » لمنطقة
البحيرات الإنجليزية المعروفة باسم Lake District
كان « وردسورث » شاعر الطبيعة في أي مظهر من
مظاهرها ، وكان يعتقد أن الطبيعة تحمي الإنسان من الشرور ،
وتجمل الخير أليفاً عنده حبياً لديه ، كما أشار إلى ذلك في ديوانه
المعروف « الفاتحة » Prelude . ولهذا قضى حياته جوالاً في
منازه أوروبا وإنجلترا . وعاش في قرية « جراسمير » بين البحيرات
الإنجليزية التي ألهته ديوانه المعروف باسم « شعر البحيرات »
ودفن هناك في الأرض التي ألهته ، وأوجت إليه أسرار
جمالها . وقد أتبع لي أن أزور قبره وقبر شقيقته في تلك البقعة

ويذكرنا كذلك بقصائد رائعة للسرى الرفاء وأبي تمام والبحتري وابن الرومي في وصف الربيع والخريف والشتاء والحجاب ، وهو شعر منشور في مواضع من دواوينهم ومن السهل الرجوع إليه .

أما البحر ذلك الخضم الواسع الذي يقصر الطرف عن إدراك مداه ، وتمعجز السنون عن سبر أغواره ، فقد كان له من الشعر العربي نصيب ، إلا أنه ضئيل ، وقد أشار إليه امرؤ القيس إشارة عابرة في مملته وهو يشبه الليل بموجه ، كما وصفه ابن خفاجة الأندلسي بثلاثة أبيات . ووصفه الشاعر الأندلسي يحيى ابن الحكم البكري المشهور بالفزال في قصيدة طويلة قالها يصف رحلته إلى القسطنطينية موفداً من قبل الخليفة عبد الرحمن ابن الحكم بن هشام سنة ٢٢٥ هـ إلى قبصر أميراطور الروم في مهمة سياسية ، والقصيدة لطيفة البحر والتصوير ، ومنها :

قال لي يحيى وصرتنا بين موج كالجبال
وتولتنا رياح من دبور وشمال
سقت القلعين وانبتت عرى تلك الجبال
وتغطى ملك الموت إلينا عن حبال
فأرأينا الموت رأى الـ حين حالاً بعد حال

ولم يذكر نفع « الطيب » من القصيدة إلا أحد عشر بيتاً اخترنا منها هذه الخمسة . وهي في الجزء الأول من ٤٤٤

وللدكتور جورج صوايا من شعراء المهجر في أمريكا الجنوبية قصيدة في البحر المتوسط تجدها في الصفحة الثامنة وما بعدها من ديوانه « همس الشاعر » المطبوع في « يونس أيرس » ألا إنها ضعيفة الصياغة ، على الرغم من حنوها يفيض المعاني التي توحىها وقفة أمام هذا البحر الذي شهد ازدهار حضارات ومعارع دولات

وأحجم شاعر أو — ناظم — عن ركوب البحر خشية أن يذوب فيه ، لأنه من طين ... ولكن شوق وحافظ ركبا البحر ووصفاه . ولحافظ رائيته التي مطلما :

عاصف يرتقى ويمر . يغير أنا بالله منهما مستجير

ألا إن ذلك قليل على الشعر العربي ، وأن ذلك من قصيدة « وردسورث » التي عنوانها « على شاطئ البحر » ؟

أما الرياض والأشجار والأزهار ، فلم يترك شعراء العرب نوعاً منها إلا وصفوه ، فابن خفاجة له في شجر النارج والأراك والريحان شعر كثير . والسرى الرفاء له شعر كثير جداً في وصف الرياض والبساتين والنرجس وشجر الليمون وزهر السوسن والورد وشقائق النعمان والأترج والخيول ورياض الموصل ومتزهات الشام

وتلك ناحية في الشعر العربي تذكرنا بشعر « هريك » في النوار والبراعم ، وبقصيدته الفاتنة في زهرة « الدافودلى » التي يقتحمها ويختتمها بهذين البيتين :

أيتها الزهرة الجميلة ! نحن نبكي لأن نراك

تسرعين الخطوات إلى القبول

مثل أمطار الصيف أو قطرات الندى

التي تمضي إلى غير رجوع

كما تذكرنا بقصيدة « مارقل » الإنجليزي التي عنوانها « أفكار في حديقة »

ولقد أخذ الشعور بوصف الطبيعة يزداد عند نفر من شعراء للشرق ، وشاع عند شعراء المغرب ؛ وظهرت الطبيعة مجلوة في شعر أمثال ابن خفاجة وابن حديد وابن جهور وابن زيدون وابن عبيدون وابن سهل . وهذا الأخير كان يمزج في شعره بين وصف الطبيعة ووصف المراتف وخلجات النفس كما يفعل الفرنسيون أمثال : هوجو ، ولامارتين ، والكونت دي ليل ، والفريد دي موسيه . ولكن الفرق بعيد ..

ولقد ظهر في مصر في أيامنا هذه (الشاعر الممشرى) ، الذي عنى بتصوير الطبيعة المصرية في مختلف صورها . تسمع وترى وتمس وتشم في شعره كل شيء في الطبيعة ، حتى رائحة الكلاب . وكان يرجي له في هذا الباب مجال ، وتناط به آمال لولا أن الموت عاجله وهو صغير الشباب

ولعل قراء العربية يمدون في شاعر آخر « شاعر البراري » مثلاً لشاعر الطبيعة المصرية البحت الذي يفنى على قيثارتها في كل مكان . محمد عبد الفتى محسن

شلى

[سبقي شمرى بنوع الأرواح
الظلمة ، لأنك روح شامى]

للأستاذ محي الدين السامرائى

بعض المباشرة لا نكاد نفهمهم القيم الدقيق النافذ ، إلا إذا
فهمنا أطوار حيواتهم فنربطها بتجاربهم الليتافيزيقية الخفية ،
والاختلاجات النفسية ، لنذكر ما وراء الحس في حياة كل
عبقري من صدام وصراع

وشلى أحد أولئك الذين تميزنا نرجاتهم على كشف البواعث
والولائد في أطباق نفوسهم القصية إذا ما أراد أحدهما درس
واحد منهم دراسة عميقة ، يقوم أسامها على الفهم الحلى للعنصر
الوحداني الدفين المستتر في قرارة كل نفس ، ليخرجه إلى
عالم النور

وإذا ، فقد ولد هذا المبقرى الثائر في الرابع من أغسطس
عام ١٧٩٢ في ورشهام ، بين الأجرار النضرة والمراعى الجميلة ،
فتشاً في أحضان الطبيعة القروية الساذجة ، فاستشف مكان
الروعة من الكون بينين ناعستين « كأنما أظلمهما وسن حالم
عميق » ، كما يقول أحد نقاده الماصرين . ثم سافر حدثاً
ليلتحق بكلية (إون) بكسford ، فبرم من قائلدها المدرسية
الرتيبة^(١) ، وحاول مهاداً التخلص منها ، ولكن إرادة والده
حالت دون ذلك ؛ إلى أن نشر رسالة عن « ضرورة الإلحاد »
وذلك عام ١٨١١ ، هاجم فيها العقائد والأديان ، وسخر من
جميع المثل السائدة في عصره ، وبشعر بضرورة تحطيم اللاهوت
السميحي وبعثه ؛ فما كان من الجامعة إلا أن أقست عنها ،
فتأدراها وفي نفسه جزع عميق من السخرية والخط اللزق
أنارها يديده من الأساندة ورفاقه الطلاب . وهنا قمل الكبت
فعله المجيب في مطاوى هذه النفس الحساسة الزرع . ومنذ
هذا الوقت مضى طليقاً بنظم الشعر وقرأ الشيولوجيا اليونانية
والآثار الكلاسيكية ، ولا سيما أفلاطون وأبجيلوس الذين

(١) اختارها الأستاذ الزيات مقابل الكلمة الفرنسية routine

أعجب بهما كثيراً ، وصاحبهما طوال حياته ؛ فأشربت روحه
هذه الثقافة الحية النعمة بدوافع الفن والحياة . وبقي يتنقل
بين أقطار أوروبا بعد أن ودع إنجلترا إلى غير رجعة ، حتى وطئت
قدماه أرض إيطاليا الجميلة ، فأنجذها مقرأ له ، بصحبة زوجته ابنة
الفيلسوف الإنجليزي وليم كودون ؛ وهناك استكمل تكوينه
الفنى المدهش فبقى يبدع الروائع الشعرية السامية دراكاً حتى
واقته النية غريباً في ليجهورون على شاطئ سيزا وذلك في الثامن
من (يولية) عام ١٨٢٢ وقيل بل مات منتحراً أثر اضطراب نفسي
أصابه ، بأساً من حياته المترعة بالآلام والأوصاب . فأحرقت
جثته في حفرة سديقه العظيم يرون ، ودفنت بقاياها ؛ حيث
كتب على قبره باللاتينية : « هنا يرقد قلب القلوب الشاعر
يبرسى . يش شلى » وفي أسفل منها بيت من شعره يقول : « لقد
عاش ومات وغنى وحيداً »

وهكذا انتهت حياة هذا الشاعر المستوحى الغرب بقاجمة
من أعنف القواجم التي عرفها تاريخ الأدب الحديث

ما كان شلى ممن يأخذ بدخيلات عصره ، وتوافقه يشته ؛
تقد عاش ما عاش هائماً في أجواء نفسه ، وأقطار أوهامه ،
« مأخوذاً بالسوء الكوكبة الساطعة بالأنوار » وبكل مظهر
من مظاهر هذا الوجود الرحيب . فآثر ذلك تأثيراً عميقاً في روحه
الفنية ، وطبعه بتلك الانطباعات المتسمة التي اعتصرت روحه
المبقرى على أساس من الثورة والألم ، إلى جانب تشاؤم
في الحساسية عميق ، أشمره بالأم العصر الذي يضطرب فيه ،
وشاع في جوانب نفسه ميولاً متدققة قوية ، ولكنها تتأرجح
بين « الشواطيء الزرق البعيدة الحالة » ، وبين « الجروف
الصخرية السماء »

فلخص ما يقوله الأستاذ الفيلسوف هويتيد فيه : أنه مؤمن
بالعلم التجريبي بمال الطبيعة ومظاهرها تحت ضوئه ، في الحين
الذي يستند فيه إلى المذاهب المثالية الأخرى مثل : كانت ، بركان ،
أفلاطون

فهو مزيج من نوازع متباينة تنجاذبه ، فن الناحية الواحدة
زعة إغريقية قوية تؤمن بالطبيعة وتقدسها ، ومن الناحية

الأخرى إحساس ديني عميق يربط مظاهر الوجود في وحدة
كيانية واحدة Pantheism

« عندئذ اتحد الجسم بالروح
وعمرت كيان « أياك » وعشة رقيقة
فأطلقت جفتها المحتقنين بهدوء

وعند ذاك توقفت الأجرام المتعة الزرقاء ... »^(١)

ومن هنا كانت ابتداعيته الطامعة ، الفلقة ، المشرقية إلى
مثل إنسانى يحرق النفس ويستقها من ربة المادة ، وهذا
الفسانية المحلقة في عالم الأحلام : طام للثل الرفيعة ، حيث
الحقائق متلاحمة بعروها التموض . فشعره صورة صادقة
لرومانتيكية التي تطلب الإبهام obscurity على الوضوح ،
ولو أنها لا تمت إلى الرمزية بصلة ما . فهي تسبغ صفة الجلال
sublimity على كل شيء ، وتنصر الباطن من الظاهر ؛ فهي
« رومانتيكية صوفية » بالمعنى الدقيق . وأكبر مظاهرها ،
تلك الطرب الساذج - الذي يقرب من العبادة - لثرائب
الطبيعة ، والتجيد العنيد لصور الوجود ، الذي يذهب بنا إلى
حالة اعتياد روحي شديد ، هي من أمرار الطلاقة الفنية في شعره .
ويظهر هذا الأثر واضحاً في قصائده الأخيرة : القبرة ، واتصار
الحياة ، وأيسكديون التي حار النقاد فيها ، ومنظومتي هيلاس
وبرمانيوس ، التي يصور فيها الجبروت الإيليسى في شخصية
البطل الخرافي بريشة تفوق ريشة ملتون في تصوير إبليس .

وفي الطور الأخير من حياته تأخذ « صوفية شلى
الرومانتيكية » شكلها الأخير ؛ إذ يخضع للقوى اللاواعية
السلبية في النفس ، فيستشعر الألفة والانسجام في سلب الوجود
العام ، ويدرك أن هناك عقلاً سامياً وراء كل شيء ، تتوقف
السعادة الداعة بالاعتماد الحبي به - كما يعبر الصوفيون - بعد أن
أنكر ذلك من قبل . وتحت تأثير هذا التصور الجديد في كيانه ،
نظم أغنيته الفذة أيسكديون ، التي هي « نصيد باطن » لتلك

(١) محدثنا الأستاذ « ول دورانت » صاحب كتاب قصة الفلسفة :
أن شلى خرج فلا يترجم كتاب « إسينوزا » « رسالة من الدين
والفولة » ، وفي أم مؤلفات فيلسوف وحدة الوجود الأكبر بعد كتابه
« الأخلاق » . وقد استشهد كثيراً بأقواله في الملاحظات الفلسفية التي
وضعا لتصبحت هذه التي عنوانها « للكمة باب »

الروح التواقة لذلك الحب المثالي السامى ، ولو أن فيها بعض
الأثر من شلى القديم . وقد يخطيء من يظن أن شلى هنا ،
يبحث عن الحب الحسى الأرضي ؛ فالحب الذى يفقده إلا الحب
الروحي المفرق في المثالية الزاخرة بأحفل العواطف والأشواق ،
حيث السناق للكين بين الزائل الفانى والخالد الباقي ... « كل
شيء يحول إلا إياك أيها الحب ... »

والآن استمع لشلى صاحب « ضرورة الإلهاد » ، ينشد في
آخر سنيه على لسان « النبي محمد » في افتتاحية منظومته
السامية هيلاس إذ يقول :

أسرعوا وأملأوا الحلال الباهت
بالأنوار الحادة ، كتلك التي شقت عتمة ذلك
الليل المسيحي الذي انسحب إلى الغرب
حيث امتطى القمر المشرق صهوة النضر ...
ألا فلتحل العتمة على أولئك الذين ديدنهم الإشراك وتقسيم
الإله الأعلى التعالى ...

فشعره - كما يبدو لأول وهلة - مزيج من الرومانتيكية
الجامعة والتصوف الرزين ، مزيج من الأنوار والظلال ، ومن
العقل والجنون ؛ فخياله المحلق النفور قد عصف بكل الفواصل
الأرضية ، فاقطعت الصلة بينه وبين أكثر القراء . حتى أن
النقاد الكبير « مانيو أرنولد » أطلق عليه لقب « الشاعر
السموى المجنون » ، إذ عاش حالاً بموالم أنثوية قصية ، مغممة
بأنفاس الهبة والجمال ، (عندما يشفق الحياة النائم) - وقد
كرر هذا المعنى في شعره كثيراً -

ألا بهم يا حبيبى

نحو غاية الشفق -

حيث يتعال القمر الوضى ؛

ومعنا لك سأمس إليك

ن هو الليل البارد

« ست قادراً على البوح به في النور ؟ »

ولقد اختلف النقاد في تقدير ملكة شلى الفنية اختلافاً
كبيراً ، فهاجبه كثير منهم ، أمثال صديقه الخائن « هوج »
و « بيكرت » وغيرهما . بينما انتصرت له النقادة الكبير مانيو

دائماً على الصخور بلا انقطاع ، وهذه الكائنات — وفيها
الإنسان — « كسحب تنشى التمر الليلي ،
وسرعان ما تنفث ، فتلتهم ، ثم ترش ،
فتفري الظلام بالألوان ! ثم يطبق الليل
ثانية ... فتضيع هاتيك السحب إلى الأبد .
... ألا إن أمس الإنسان لا يشبه غده

فهو لن يمانى غير التنير للمستديم . »
أما حيال ذلك السر المحجب القديم : سر هذا الوجود ،
ماذا يحول ؟ وأيان منتهاه ؟ فكثيراً ما وقف واجهاً مبهوئاً ،
لا يرى غير ظلمات يركب بعضها بعضاً .

« يا أشباح الموت ! ألم أسمع عويك المرتفع مع أنفاس الليل
الدائرة ، حيث تشتد الماصفة على الأثير للظلم
وعلى الريح الرخية يتلاشى هزيم الرعد ؟
ألا ما أكثر ما وقفت على قمة جورا الظلمة العابسة فوق
الوادي المنفرد في الخضيب .

وما أكثر ما صعدت أمام ثورة إعصار الليل القارس
إذ يحولني ، كما يبدو لي ، رجيع أصداء الموت الهامسة ! »
فالمرت بطارد جميع الكائنات « بأقدام لاهية وأنفاس باردة
صفراء » ، حتى الشمس والأفلاك يصيبها الخمود والاندثار :
« أخبرني أيها الكوكب ذو الأجضعة النورانية

السرعة بك في دورانك المشتعل ،
في أي من كهوف الليل صنتطوى أجنتك
وأنت أيها القمر الأنثيب المزيل
في أية أعماق من الليل أو النهار
تطلب الراحة والسكون ؟ ... »

لا ! لن يقوى أمام ناموس الفناء غير « ذلك النور الهامى
المؤتلق إلى الأبد » ؛ أما الظلال الأرضية « فتتناثر بدداً تحت وطء
الموت ... بينما تبقى روح أدونيس مشتتة في أحصى أطباق السماء
ككوكب هاد حيث الخالد الباقي . »

... وأخيراً طوته ظلمة الموت بمد أن ترك للمالم تجربة حية
ساذقة ، وسجل لنا اعترافاً روحياً طويلاً مكتوباً بدم القلب
(بنسابة)
عنه السامرائي

أرنولد وأنصفه من أعدائه . كما أن الكاتب الكبير لورد ماكولي
كتب عنه يقول : إن شعر شلي لم يكن فناً وحسب ، إن هو
إلا وحي . أما البروفسور إيفور إيفانس أستاذ الأدب الإنجليزي
في جامعة لندن ، فقد دفعه إلى رتبة النبوة في شعره ، واعتبره من
أصحاب الرسائل المثلى في تاريخ البشرية

ومهما يكن من رأى النقد فيه ، فالحقيقة أن فيه عنصراً
غير عادي ، هو الذي جعل معاصريه على أن يروا فيه — على رأى
ستيفن سبندر — رجلاً هستيرى الزاج ، منحرف السريّة ،
مزيجاً من النول والإنسان ، حتى أن رفاقه في المدرسة زروا عليه
شذوذ سلوكه وانطفائة الطائشة ، فلقبوه بـ « شلي المجنون » ،
كما أن مؤسسة (شانسرى) قررت حضانة ابنته من زوجه
الأولى ، بحجة أنه رجل مهوس غبول ، ليس أهلاً لإعالة إنسان .
وفي ذلك — كما يبدو لنا — مظهر من مظاهر المبقرية الساذقة
التي لا تخضع لتقايس الناس وموازينهم . أو ليست المبقرية
— قبل كل شيء — انطلاقاً من كل قيد ، وشروداً عن كل
مصطلح ومألوف ؟

أما عقيدة شلي الفلسفية ورسائله التي بشر العالم بها فلها
قصة طويلة لا نستطيع جلوها ناصمة إلا عن طريق الدراسة
السليقة لشعره في مختلف أطواره الروحية . مع أنه — بالحقيقة —
ليس صاحب فلسفة متبلورة ناضجة ذات حدود ، إن هي في
مجموعها إلا تجارب نفسية متباينة ذات أسباغ مشوشة غامضة
فشلي يرى ظواهر الوجود سيلاً مندفعاً من أزل الأزال إلى
أبد الأباد لأي لحظة واحدة من الزمان . فهو — إذا شئت الدقة
الفلسفية — خلق مستمر ، وامتداد من عالم الحرية إلى عالم
الاحتمة والضرورة .

« الكون الرمدي لهذه الأشياء
يتزأكنض خلال العقل ، ويفرب بأموانجه الخاطفة .
آونة قاعة ، وآونة ملتزمة ؛ حيناً تقبض النفس ،
وحيثاً تنيرها ... »

كجدول رقراق يأخذ سمته ، خلال القاب الكثيف
وبين الجبال ، حيث الشلالات التدافئة حولها إلى الأبد ،
وحيت القاب والريح يتصارعان ؛ يندفع النهر الكبير

على ضفاف الجحيم

[إلى ذلك الروح الذي بث الصدر
في دمي معناه فأخرس كبريائي ومزق رغباتي
وصرب على شاعري حراً من الضباب ،
تخبط فيه حكمتي وتشتت أشواقى]

علام أبثت للدنيا بأنقاسي لا الظل ظلي ولا الأناس أناسي
لا الشمس في مخوي أسى بموكبها ولا الحقيقة في آفاق الهامى
هيام أطوى الليالي البيض في سقب
تفكيف الوزر والحرام أوهامى
حيران تصطرع الأهواء في خلدي

وساوس الشك في محوى وأحلامى
مروع العقل والوجدان ذو أمل مشرد الرأى أفاق الخطى ظامى
موزع الحس مخدور للمنى شرق مغزق القول هدائم لأصنامى
دنياى خلوت من الأتراح يا عجبا علام أبثت للدنيا بأنقاسي

هنا ذوت حكمتي وانهار إيمانى وعربد الشك في عقلى ووجدانى
بالأس كنت هنا قديس حاتمهم

أحدر الجنون وأحدوها بالحنانى
أجمال الزور في أفواه من شربرا وأخذ القول بهتاناً بهتان
جن الجبيع ضحذا عبد شهوته وذاك تاجر زهد بين رهبان
لباقة الراح حاجت إلك مسرحهم كل وفى يده مصباح شيطان
حقيقى فوق ماقى الكأس من سكر

قلم أجن ولكن جن حرمانى
من ل بسمة أيقاظ لأنثدم هنا ذوت حكمتي وانهار إيمانى

يا وحدتى بين نادى الصجب والآل

كل يمشى ولم أظفر بأمثال

أنا القريب ونفسي في مجاهلها

حيرى تلتفت عن قومي وآمالى

تهفو إلى النور في جوع وفي ظلم

كانها ذلة في وجهه وثبال

تمضى على الشوك لا تشكو تعثرها

ولا يفزعها تحريم أهوالى

مضى الشباب سدى ما كان أجله

لو لم أقض سنه بين أغلال

طربت أيامه إنعما وسخرية

أصانع الإفك في حلى وترحالى

من يفهم النفس إن أفضت بقولها :

يا وحدتى بين نادى الصجب والآل

أخرجت من معبد الأوهام خفاق

وعشت في حكمتي مجنون آفاق

هدمت محرابى الأسمى وكم سجدت

على قداسه روحى وأشواقى

أحرق إنجيله ككفراً وكم خشعت

نفسى لما فيه من نور وشرق

ماتت صلاتى وكانت آيها سكناً

لما أكابد من يأس وإملاق

خلا المصلى وطافت حول هيكله

معالم الجسد في صمت وإطراق

وأطلقاً للمبىد الوضاء راهبه

وردع القدس في زبغ وإشفاق

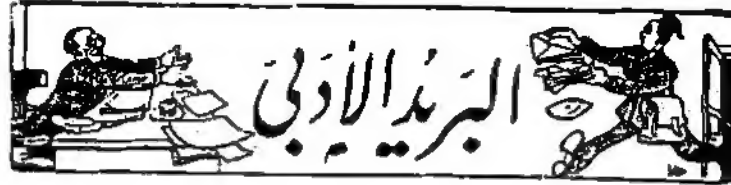
وأرسل الحكمة الهوجاء هاتمة :

أخرجت من معبد الأوهام خفاق

محمد الهوى

(كلية الآداب)

الأستاذ النمراوى يريد أن يحسبك بنزيل الرجعية والتحديد
معاً ، وأن يجمع بين إعجاب الرجعيين به والمجدين ، وهو
في هذا كمن يحاول الجمع بين الضدين
عبد المتعال المصري



بين الدين والعلم في فتاواه الأثنى

فتاواه البشات بين الطب والدين

قرأت كلتين في العدد — ٥٤٨ — من مجلة الرسالة
البراء : إحداهما للدكتور أسامة ، والثانية للأستاذ محمد أحمد
النمراوى ، فأما الدكتور أسامة فقد عاد إلى بحث ختان الأثنى
من الناحية الدينية ، ونحن لا نريد هذا منه ، وإنما نريد منه
أن يبين لنا رأى غيره من الأطباء في هذا الختان ، لأن رأيه
وحده فيه لا يفيد القطع في هذه المسألة من الناحية الطبية ،
ولا يد من الوصول إلى رأى قاطع فيها من هذه الناحية قبل
بحثها من الناحية الدينية .

وأما الأستاذ النمراوى فلا أدري ما يأخذه على وقدمضى
يعالج مسألة الختان على طريقي من التوفيق بين الدين والعلم ،
وخالف طريقة من رددت عليه حين يريد أن يثبت أن هذه
المسألة من الدين ، ولا يريد أن يعالجها من ناحية العلم ، بل
يرى دكتوراً فاضلاً يريد أن يوفق بين الدين وبين ما يراه
مخالفاً له في الطب ، فيقطع عليه طريق هذا التوفيق ، ولا يقول له
إلا أن مسألة الختان من الدين ؟ فإن معنى هذا أن حكم الطب
فيها لا يعبأ به ، وهذه هي الطريقة التي قلت إن الدين لا يخدم
بها ، وقلت إنها تخالف ما اعتمدته سلفنا الصالح في تناقض
دليل العقل ودليل النقل

ومن العجيب أن يقول الأستاذ النمراوى : إن قراراً إجماعياً
لو صدر من الأطباء بتأييد الدكتور أسامة لا يغير من الحكم شيئاً
في هذه المسألة بالذات ، ثم يعضى بعد هذا في محاولة التوفيق بين
الطب والدين في مسألة الختان ، وهذا تناقض لا أدري كيف وقع فيه .
وقد ينقل أن يأخذ الإنسان في هذه المسألة بحكم الطب ولو خالف
الدين ، وأن يأخذ فيها بحكم الدين ولو خالف الطب ، ولكنه
لا ينقل أن يضرب بإجماع الأطباء فيها لو حصل عرض الحائط
ثم يعضى في محاولة التوفيق فيها بين الطب والدين ، ولكن

قائدة الختان تتلخص طبيياً فيما يأتي :
أولاً — الانفراس الدهني المنفرد من الشفرين الصغيرين
وجزء من البظر إن لم تقطع في الختان تتجمع وتترشح ويكون
لها رائحة غير مقبولة وتحدث التهابات قد تمتد إلى المهبل بل إلى
قناة مجرى البول ، ورأيت حالات كثيرة بهذه الالتهابات في
بعض السيدات سببها عدم الختان
ثانياً — هذا القطع يقلل الحساسية الجنسية للبنات ، حيث
لا شيء لديها ينشأ عنه احتكاك جالب للاشتهاء ، وحينئذ
لا تصير البنت عصبية من صفرها
وإن عملية الختان لا تقطع البظر من جذره بل تقطع جزءاً
منه ، فهي تقطع الحشفة وجزءاً من العضو ، وهذا الجزء
الأعلى هو ذو الحساسية الشديدة ، ثم يبقى جزء منه توجد فيه
أبناً الحساسية ولكنها أقل أثراً

ويقول الدكتور الفاضل أسامة (إن إزالة البظر يحدث عنه
جزئية للفتاة قبل الزواج مشكوكاً فيها ، ولكنه يحرم المرأة
المتزوجة من الشعور الصحيح بالذلة الجنسية) ولكن الحقيقة التي
لا مراءية فيها أن الفتاة التي استهدفت لعملية الختان قلت فيها
حساسية الشهوة بخلاف التي لم يحدث لها الختان فإن أى احتكاك
(بالبظر) حتى بثوبها يحرك فيها حساسية شديدة ربما لا يؤمن
جانها في الفتيات . وأما قوله إن المتزوجة تحرم من الشعور الصحيح
بالذلة الجنسية ، فهذا غير صحيح ؛ فالشعور لا يزال فيها لكنه
شعور غير فياض رزين غير عابت ، مضبوط زمامه غير منفلت
ثم إن حضرة الدكتور يقول إن الجاذبية الجنسية لا تحدث
من الأعضاء التناسلية الخارجة ، وإنما تحدث من الصفات
الجنسية الثانوية ، وهي في الأثنى جمال الوجه . الخ .

إذا فالتاثير الجنسي لم ينعدم في المرأة بعد ختانها وإنما وجد
بمقدار وإن زاد أو نـقص

نقد البروفيسور في رسالة الففران

في أكثر اللغات مثل سائر أو كلمة مأثورة أو أطروفة ضاحكة تؤكد للأقزام وقصار القامة من الناس الذكاء والنبوغ وحدة الذهن والحيوية . حتى لتكاد كلمة قصير تصبح بنفسها علماً على العبقرية أو مرادفة لها . والإحصاء نفسه يبرهن عليه . وفي ذلك بحث طريف لم يتنبه له الكتاب بمد ولم يقيموا له بحثاً بذاته على ما فيه من سعة وعمق وإمتاع دعاني إلى هذا التقديم كتاب ظهر منذ أيام باللغة الإنكليزية مترجماً عن العربية تعاون على إخراجه أقزام ثلاثة مشهورون ، بدأ أولهم قبل ألف سنة وأتمه الآخرون منذ أيام . هؤلاء الأقزام الثلاثة هم : أبو الملاء المري وكامل كيلاني ومستر براكنبوري . وضع أبو الملاء رسالة الففران وقذفها في تيار الفكر الإنساني تنحدر مع الأيام وطال بها حلك الليالي بمصوراً مديدة حتى جاء السكيلاني فتناولها بالتحقيق والتهديب ونشرها في الفكر العربي الحديث نوراً قوياً ساطعاً . والسكيلاني يشق أبا الملاء عشقاً عتيقاً وبرى فيه صورة العقل العربي الجبار ويبرهن على أن في كل جملة منه توجيهاً جديداً ، وأنه أسمى تفكيراً وأسلم منطقاً من كثير من مشهورى الغرب قدمائه وعديثه . وهذا ما حثه فتعاون والمشرق الإنكليزي جيرالد براكنبوري على ترجمة رسالة الففران إلى الإنكليزية . وقد تم طبعها الأنين منذ أيام لخامات تحفة ممتازة من تحف العقل العربي في المكتبة الإنكليزية . ولئن كان الإنكليز قد اطلعوا على شيء من أدبنا القديم فإنما اطلعوا على أضعف ما فيه غالباً وهو ما يمثلنا في عصور الانحطاط كقامات الحريري مثلاً ؛ على أنها في حقيقتها لا تمثل إلا القدرة اللفظية والأعيب التراكيب مما لا يروق العقل المفكر . أما رسالة الففران ففخر لنا نياها به ؛ وأنا على مثل اليقين أنها تستجوز على الشهرة التي نالتها ترجمة فيتر جيرالد بإحياء الخيام . وترجمة الرسالة هذه تكاد تكون حرفية لكنها قوية لا تحس فيها موضع ضعف أبداً وتقل فيها الشمر إلى الإنكليزية شعراً . وسعد براكنبوري على ذلك سعة اللغة الإنكليزية نفسها وليوتها وتعدد الألفاظ الدينية وترادفها بيمانها نفسها أو بيمان أخرى قريبة منها مما لا نجد له مثيلاً في سائر اللغات قير العربية . أصعب إلى

هذا هو رأي الطب في ختان البنات فانظروا إلى رأي الدين : يقول صلى الله عليه وسلم (الختان سنة للرجال مكرومة للنساء) . وأية مكرومة للنساء أفضل من هذه المكرومة التي تضبط شهواتهن وتقلل من اشتهاهن ، وفي الوقت نفسه لا تحرمهن لذائهن . ثم انظروا إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم عندما هاجرت النساء ، وكان فيهن امرأة يقال لها أم حبيبة ، وكانت تحقن الجوارى ؛ فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها يا أم حبيبة ، هل الذي كان في يدك هو في يدك اليوم ؟ فقالت نعم يا رسول الله إلا أن يكون حراماً فتنهاني عنه ، قال بل هو حلال ، فادنى مني حتى أعلمك . فدنست منه فقالت يا أم حبيبة إذا أنت فعلت فلا تنهكي ، فإنه أشرق للوجه وأحظى عند الزوج . فانظروا إلى كلمة (لا تنهكي) أى لا تستأصلي . أليس في هذا الحديث معجزة تنطق عن نفسها ، وتدل بوجهها ، قلم يكن الطب قد أظهر شيئاً عن هذا المص الحساس (البظر) ولا التفرج أبان عن الأعصاب التي فيه ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي علمه العلم الخبير ، عرف ذلك فأمر ألا يستأصل المصوكة حتى لا يفقد الحساسية جميعها فأى تمارض بين الطب والدين في هذا ؟ أما عن قول الدكتور عن أضرار الخطر الجراحي كالنزيف ، فهذا أيضاً في ختان الذكور وإن كان حضرته لا يمنع فيه في الذكور فما كان هذا الضرر الممكن منبهه ليمنع هذه الفائدة . وها نحن نرى هذه العملية تعمل يومياً بين نساء جاهلات ولم نر أضراراً كثيرة بل قل أن تنزف منها فتاة وختاناً أخالف الدكتور أسامة في رأيه ، وأرى أن ختان النبت مكرومة لها ، وأقول إنني ما رأيت الدين يدعو إلى شيء إلا وجدت الطب يتبعه في ذلك ، ولن يريد التثبت من ذلك أن يقرأ كتابي (الطب الحديث يترجم خطي الإسلام) وكتابي (الحل وخلفته الإنسانية بين الطب الحديث والقرآن) فيرى صدق ما أرى إليه والسلام .

الدكتور

عاصم البربري الفرائي

طبيب أول رعاية الطفل ببيت سوف

كان حجة في كل العلوم ، وثقة يرجع إليه في المشكلات . ولم تكن منزلته العلمية ومكانته الأدبية وشهرته فاصدة على وطنه ومواطنيه ؛ بل كان فضله مذكوراً بين علماء دمشق وأدبائها حيث تسمى له أن يؤدي رسالة العلم والأدب في العاصمة الأموية زهاء ثمانى سنوات كان فيها موضع الإجلال والتقدير وله عدة تأليف ورسائل نذكر منها :

- ١ - فتاوى على المذهب الحنفي
- ٢ - فتاوى في الوقف على المذهب الحنفي
- ٣ - منظومة في الحكمة والأدب
- ٤ - رسالة في علم البيان
- ٥ - منظومة في علاقات المجاز الرسل
- ٦ - رسالة في النطق
- ٧ - منظومة في المقولات مع شرح لها
- ٨ - ديوان شعره

وقد تولى من المناصب في العهد العثماني : عضوية الاستئناف ، ورئاسة المحكمة الاتهامية من سنة ١٢٠٦ إلى ١٣٢٤ . ثم الفتوى ورئاسة الأوقاف من سنة ١٣٢٤ إلى الاحتلال الإيطالي . ووكالة رئاسة مجلس الإدارة قسم المحاكمات والجنح من سنة ١٣٢٥ إلى ١٣٢٨ عن أربعة ولاء . وفي دمشق حين هاجر إليها عرض عليه إفتاء طرابلس الشام فلم يقبل ، وخصص له معاش باعتباره من هيئة كبار علماء الشيعة . ثم رأس بئنة أثناء الحرب المالية وفدت إلى المدينة المنورة فقام بها خير قيام . ورجع إلى طرابلس بعد الاحتلال الإيطالي . فمضى حاكماً بالحكمة العليا وظل فيها ١٥ عاماً إلى أن توفى في ربيع الآخر سنة ١٣٦٢

الرهوى العنبري

لا يؤمن كثير من أهل الرأي بما دونه مؤرخو العرب من القصص الثرائى اللهب « كقيس ليلى » « وقيس لبنى » بل لقد يذهب بعضهم إلى الضحك منه ، والسخرية به ، ويعتقدون أن هذا القصص تصوير روائى ، وخيال شعري وأحسب أن الذين يصفون هذا الرأى بنوا عقيدتهم على خبرتهم الصادقة بالطبيعة البشرية

هذا كله قدرة برا كنهورى الفائقة في لنته وفي العربية والتشابه القوى في حياة المؤلف والمترجم وطراز التفكير ، ثم إمداد الكيلاني وتحقيقه وجهوده

فأبو الملاء الممرى وكامل الكيلاني وجيرالد برا كنهورى ؛ هؤلاء هم الأفزاق الثلاثة الذين تعاونوا على تقديم رسالة الغفران إلى الإنجليز . ومن أجدر في القيام بهذا العمل الجبار من هؤلاء النبهاء الثلاثة ؟

(القاصدة)

مصحح محقق

الشيخ عباد الطنطاوى

في تاريخ الأدب العرب الحديث شخصية عملت على نشر الأدب العربى خارج نطاق مصر ، وهى تكاد تكون مجهولة من المعاصرين . تلك هى شخصية الشيخ محمد عباد الطنطاوى (١٨٦١ - ١٨٦١) الذي كان يقوم بتدريس الأدب العربى في مدرسة لازاروف بمدينة موسكو ومؤلف كتاب « أحسن النخب في معرفة لسان العرب »

ورجائى ممن يشر على تاريخ هذا الرائد المجهول أن يدلى على صفحات الرسالة بالمصادر التى يمكن الرجوع إليها عن شخصيته

محمد أمين حسن

مفكرة تأييد الشيخ إبراهيم باكير عالم طرابلس الغرب

أقيمت في طرابلس الغرب حفلة تأييد لشيخ علمائها للفقور له الشيخ إبراهيم باكير دعا إليها الأفاضل أبناء الشيرقى وقريق آخر من الأدباء . فافتتحت بآى الذكر الحكيم ، ثم قام ساحة الفتى فشكر للداعين سعيهم وذكر مآثر الفقيد ، ثم تتابع بعده الخطباء والشعراء بقعدوا مناقبه ومواهبه .

وقد ولد رحمه الله عام ١٢٧٣ ، ونشأ في بيت علم وفضل شهر منذ الفتح العثماني بالقضاء والفتيا والخطابة ؛ فكان نموذجاً سامياً في الأخلاق السكريمة والحصل النيلة والآداب العالية . وكان معروفًا بتواضعه وعزة نفسه ورقة طائفته وصدق مزيمته وتزاهته وجده في كل شئ . وتقديره واحترامه الغير

وكان يعتبر بحق شيخ مشايخ القنطر وخاتمة المحققين . فقد

ذبلت حررتها ، وكمن قوام معتدل مصره الأسى فأماله ، كل ذلك والحب فيها خجول صامت لا يجري في الطرقات ، ولا يتسكع في الصحارى . قد تمتص الفجيرة دمها ولكن في صبر وتجلد هل كان قيس يحب ليلي وليلى تكرهه ؟ لا . إنما كان بقلب ليلي من الشوق والوله ما بقلب قيس . إذن فقيم بهم الرجل ويذهل ، وهو أقوى عزما ، وتتجلد المرأة وهي القلب المتفجع ؟ هذا وضع مقلوب للطبائع البشرية لم يمنح إليه المؤلفون إلا للقصة والرواية

ولم يختص بالجنون عشاق المرأة وحدها ؟ ومن الناس عشاق متدلون في المال ، ومنهم عشاق الشرف والروعة والرجولة الكاملة ، وقد أصيب كثير من هؤلاء في مالم ورجولتهم فها هموا على وجوههم ، ولا فقدوا رجولتهم ، ولكنهم عالجوا الحياة من جديد بما وهبوا من الزايا الطبيعية لينالوا نصيبهم منها ومن أظهر ما يدل على أن هذا القصص موضوع ما يشاهد في طبيعة البشر من أن الرجل إن استخلف بالله رب كل شيء وبرسله وكتبه سهل عليه الحلف ولم يأنف منه ، فإن استعاض بطلاق امرأته تريد وجهه واستطاره النضب وعصى وامتنع حتى لو كان الحلف سلطانا مهيما ، هذا وإن لم يكن يحبها وكانت هي قبيحة المنظر ، فكيف يسوغ عقلا أن يطلق قيس ليلي وهو يحبها ؟ وهي نجية الخلق والخلق ، لجرد أن أبويه طلبا إليه هذا الطلاق وكفى ؟ لقد خير ملك عظيم بين عرشه وبين زوجة ارتضاها ، فزل عن العرش ولم يفترق عن زوجته . ألا أن العرب لم يكونوا بدعا من الناس ...

من العرب هي

فهذا المشق الذي يهيم له الرجل على وجهه ، ويدخل الضيق على صروته ليثل من طبيعة الرجل ، وهو الذي يجري بفطرته وراء النفع والطمع ، ويسمى بفرزته إلى النضال في معارك الحياة وتكاليف العيش ، إنما الحب زخرف من زخارف صباه وزينة من زينات شبابه ، بل هو أغنية من أغانيه يتطرب بها في بحال نضاله في الحياة ، ويثنى بها في خلال جهاده للعيش من طبيعة الرجل أن يسي إلى الشهرة والثروة ، وأن يتبوأ مكانها ملحوظا في رأى الدنيا ، وقم التاريخ ، ومن أظهر ميوله حب السيطرة والسيادة وبسط السلطان

هذا الرجل قد يحب ، وهذا طبيعي أيضا ، وقد يحدث الإخفاق في حبه لوعة ومرارة تجرح شعوره وعواطفه ، لكنه مخلوق نشيط تشغل عنه أفكار متباينة في دائرة الحوادث المختلفة ، وفي مناحي الفرص المتعددة التي تسنح بين حين وآخر في ميدان النضال الحيوى ، فإذا كانت الفجيرة أليمة ، مفعمة بالمواجيس والخيالات والأحزان ، فقد يجد من وسائل الكسب ومباهج الأفراح واللذات ، وحزم الإرادة القوية ما يتلجى به فينسى

هذا شأن الرجل إذا أحب ، وهو كثير الشاهدة بين الناس تجري الحوادث فيه على ما رسمته الطبيعة البشرية ، أما هيام الرجل على وجهه ، وتدلعه وإغفاله تكاليف الحياة وبسئوليتها جريا وراء امرأته ، على الوصف الذى دونه مؤرخو العرب في (قيس ليلي) (وقيس لبنى) فهو بعيد حتى عن القوق الإنسانى

ومن محب أن يهيم الرجل ويذهب ، وتصبر المرأة وتنسلى فلا تهيم على وجهها ، ولا يذهب بها التده شئ للذاهب ، فتأنس إلى التزلان في مسارحها ، وإلى الوحوش في مساربها إلى غير ذلك من مؤثرات التأليف المسرحى

كيف يكون هذا والمرأة كلها قلب ، وحياتها تاريخ كامل للعاطفة ؟ هي ، عمرها ، أسيرة أفكارها ، رقيقة عواطفها ، فإذا تسلط على هذه الأفكار والمواطف حكام من الخيبة والفشل ، فإن تجد الناس ؟ لا شئ . إلا أن تكون كالقطعة المقتحمة قد انهارت أسوارها

كم من ميون براقة خبا بريقها ، وكمن من خدود متوردة

إلى حضرات المشتركين

رجو من حضرات المشتركين الأفاضل أن يبدؤا رغبتهم في تجديد الاشتراك عن سنة ١٩٤٤ على أن يصلنا ذلك قبل يوم ١٥ يناير وإلا كان سكوتهم إذنا منهم بقطع المجلة